مجلة مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة

العدد الثالث - شوال - ذو الحجة ١٤٢٣ هـ ديسمبر - فبراير ٢٠٠٣ م

- مسألة مضاعفة الصلوات في المساجد الثلاثة هل تقع في النوافل ؟
- محدث الحرمين عمر بن حمدان المحرسي
- المدينة المنورة في عيون الشعراء
- وصف المدينة عام ١٢٣٠هـ لبركهارت
- المجالس الثقافية المعاصرة في المدينة المنورة
- بدايات الحياة العلمية والأدبية للمرأة في المدينة المنورة
- ملامح النهضة الصناعية بمنطقة المدينة المنورة

الحياة العلمية في مكة والمدينة

خلال القرنين السابع والثامن الهجريين

د . عبد الرحمن بن سليمان المزيني

المدير العام لمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة

تمهيد ازدهرت حركة التعليم في مختلف المناطق الإسلامية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، وكانت أبرز معالم هذا الازدهار إنشاء العديد من دور التعليم[1] المختلفة؛ التي نهضت بمهمة تعليم الناس وتثقيفهم في مختلف فروع المعرفة[2] وتخصصاتها .

وقد تركزت هذه الحركة في مجموعة من المدن والحواضر الإسلامية التي أصبحت قبلة للعلماء على مختلف تخصصاتهم ، يفدون إليها فيجدون إقبالاً حسنًا من أهلها ، وتشجيعًا وبذلاً من حكامها وأصحاب الشأن فيها ، وشهدت الحواضر الإسلامية وفود أعداد كبيرة من طلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية للأخذ عن علمائها ، وتلقي العلم في معاهدها المختلفة ؛ التي كانت مفتوحة لكل قاصد ، فنبغ فيها كثير من أعلام الفكر الإسلامي في مختلف ميادين العلوم والآداب الإنسانية .

وكتب التاريخ والتراجم مليئة بأسماء الحواضر الإسلامية ، وسجل حافل بتنقلات العلماء وطلاب العلم ورحلاتهم في طلب العلم على أيدي أربابه وشيوخه ، وفي كنف دوره ومعاهده .

وكان لمكة والمدينة حظ وافر من ذلك ، ويمكن تفصيل القول في ذلك على النحو الآتي :

---

(١) تركز التعليم في القرنين السابع والثامن الهجريين في المساجد ، والكتاتيب والمدارس ، ودور القرآن الكريم ، ودور الحديث ، والخانقاهات والربط ، والبيمارستانات ، ومنازل العلماء ، ومجالس العلم والمكتبات ، وسيرد الحديث عن أهم هذه الدور في ثنايا هذا البحث .

(٢) كانت أبرز فروع المعرفة في تلك الفترة : العلوم الشرعية ، والعلوم اللغوية والأدبية ، والعلوم التاريخية والجغرافية ، والعلوم الرياضية والفلكية ، والعلوم الطبية ... إلى غير ذلك من العلوم الأخرى .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١ ـ مكة المكرمة يؤكد الذهبي أنه : ((كان العلم بها يسيرًا زمن الصحابة ، ثم كثر في أواخر عصر الصحابة ، وكذلك في أيام التابعين ؛ كمجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، وزمن أصحابهم ؛ كعبد الله بن أبي نجيح ، وابن كثير المقري ، ونحوهم ، وفي زمن الرشيد ؛ كمسلم بن خالد الزنجي ، ثم أبي عبد الرحمن المقري ، ثم في أثناء المائة الثالثة تناقص علم الحرمين ، وكثر بغيرهما))[١] .

ويعقب السخاوي على كلام الذهبي عن مكة المكرمة بقوله : ((قلت : وكان للحرم المكي الجمال بأفراد مبتدئين للعلم والتصنيف من أهله والواردين عليه في سائر المذاهب وغالب الفنون ؛ بحيث كان حقيقًا بالارتحال إليه لذلك ؛ فضلاً عن كونه محلاً للنسك))[٢] .

وقد وجد بها من دور العلم : المساجد ، والمدارس ، والمكتبات ؛ التي استقبلت العلماء والطلاب ؛ فدرسوا بها ، وأفتوا ، وصنفوا المؤلفات النافعة ، ومن بين هذه الدور التعليمية ما يأتي :

أ - **المساجد :**

وكان من أهم المساجد وأبرزها في النشاط العلمي :

المسجد الحرام : هو أعظم المساجد في الأرض قاطبة ، وفيه الكعبة المشرفة قبلة المسلمين أينما كانوا ، قصده العلماء للحج وطلب العلم والمجاورة ، وارتحل إليه طلبة العلم للأخذ عن علمائه والدرس على رجالاته .

وقد عمل الحكام والولاة على الاهتمام بشأنه ، ومن ذلك تقرير الدروس العلمية فيه ؛ من ذلك ما قام به شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون حوالي سنة ٧٧٤هـ ؛ حيث قرر به دروسًا في المذاهب الأربعة ، ودرسًا في الحديث ، وتصادير ، وقراء ، ومؤذنين ، وغيرهم ، ومكتبًا للأيتام[٣] .

---

(١) الذهبي ، الأمصار ذوات الآثار ، ص ١٧ -٢٠ .

(٢) السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ) ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دراسة وتحقيق : محمد عثمان الخشت ، الرياض ، مكتبة الساعي ، ١٩٨٩م ، ص ١٧١ .

(٣) السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ) .
التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، المدينة المنورة ، أسعد طرابزوني الحسيني ، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م ، ٢١٩/٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد درَّس بالحرم المكي إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الإربلي ؛ مقرئ الحرمين (ت ٧٤٥هـ)[١] ، وكذلك درَّس به إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم اللخمي الأسيوطي (ت ٧٩٠هـ) ؛ حيث مهر في الفقه والعربية والأصلين ، ودرَّس وأفتى بالحرمين[٢] ، وفي القرن الثامن الهجري أيضًا أخذ بعض الأمراء المسلمين وبعض التجار الموسرين يقررون دروسًا لتدرس في المسجد الحرام ، وكانوا يدفعون لمن يقوم بتدريسها أجرًا معلومًا ، ومن بين تلك الدروس :

١ - الدرس الذي قرره شاه شجاع بن محمد بن مظفر اليزدي (ت ٧٨٧هـ) وهو ملك شيراز وما حولها[٣] ، فقد قرر هذا درسًا في الحديث في المسجد الحرم ، وممن ولي تدريسه علي الغوي (ت ٧٨١هـ) ، وكان يأخذ لقاء تدريسه نحو مائتي مثقال سنويًا[٤] .

٢ - قرر بدر الدين الخروبي أحد تجار مصر درسًا بالمسجد الحرام ، وولي تدريسه علي بن محمد الحسيني[٥] .

٣ - الدرس الذي قرره بشير الجمدار ، أحد أمراء المماليك بمصر ، وممن ولي تدريس هذا الدرس القاضي جمال الدين بن ظهيرة والقاضي أحمد العقيلي الملقب محب الدين النوري .

وقد كان هناك تنافس بين القاضيين على تدريسه ؛ إذ عندما عُيِّن محب الدين النويري قاضيًا للحرمين أصر على انتزاع درس بشير الجمدار من القاضي جمال الدين بن ظهيرة فكان له ما أراد[٦] .

ولم تقتصر فائدة الدروس التي تلقى بالمسجد الحرام على المكيين أنفسهم ، بل نهل من هذه المدرسة علماء من شتى البلاد الإسلامية الأخرى ، وكانت ترد

---

(١) السابق ١٤٦/١ -١٤٨ .

(٢) السابق ١٤١/١ -١٤٢ .

(٣) ابن حجر ، الدرر الكامنة ٢٨٤/٢ .

(٤) الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٨٣٢هـ) .
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : فؤاد سيد ، محمود محمد الطناحي ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية من [١٣٨١ -١٣٨٨هـ ، ١٩٦١ -١٩٦٩م] ١٣٠/٦ .

(٥) السابق ٢٣٧/٦ .

(٦) السابق ٥٦/٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إلى مشاهير الحرم المكي أسئلة من المدن والأقطار المجاورة ، وكانوا يتولون الرد عليها ، ويحدثنا الفاسي أن القاضي جمال الدين بن ظهيرة - وهو ممن ولي التدريس بالمسجد الحرام في القرن الثامن الهجري - كانت ترد إليه أسئلة كثيرة من الطائف وما حولها ، كما وردت إليه أسئلة كثيرة من عدن ومن مدن يمنية أخرى ، وكان يرسل رده عليهم[١] ، فيساعد بذلك على أن يقوم المسجد الحرام بوظيفته التربوية لكل المسلمين ، وخاصة أولئك الذين لا تمكنهم ظروفهم من المجيء إليه ؛ فتحقق بذلك ما يعرف اليوم بالتعليم بالمراسلة ، وتلك دلالة واضحة على أن القائمين على أمر مؤسسات التعليم الإسلامي ومعاهده كانوا على وعي حقيقي بما ينبغي أن تكون وظائفها التربوية[٢] وتسهيل طلب العلم على راغبه .

ب - المدارس :

حفلت مكة المكرمة بالمدارس في القرنين السابع والثامن الهجريين ، وكان الهدف الأساسي منها التدريس ونشر المعرفة والعلم ومساندة دور المسجد الحرام وما تعقد فيه من حلقات الدروس ، حيث كانت مكة المكرمة ملتقى رجال العلم وطلابه من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، يفدون إليها لأخذ العلوم عن فقهائها وعلمائها ، ومنهم من يبقى مجاورًا بها ويصبح شيخًا فيتلقى الطلبة العلوم عليه[٣] ، ومن المدارس التي أنشئت في هذه الفترة ما يلي :

١ - مدرسة النهاوندي :

أنشئت في أوائل القرن السابع الهجري ، فقد ذكر الفاسي أن مدرسة النهاوندي وجدت منذ أكثر من مائتي سنة ، فإذا علمنا أن الفاسي توفي سنة

---

(١) السابق ،وعبد الله ،عبد الرحمن صالح ،تاريخ التعليم في مكة المكرمة ،جدة ،دار الشروق ،١٤٠٣هـ -١٩٨٢م ،ص ٤١ .

(٢) علي ، سعيد إسماعيل ، معاهد التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٦م ، ص ٢٤٠ .

(٣) حسين ، جميل حرب محمود ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، جدة ، تهامة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص ١٩٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٨٣٢هـ ، وألف كتابه في أخريات أيامه أدركنا أنها أنشئت في العصر الأيوبي حوالي سنة ٦٣٠هـ ، وكان موقعها بالموضع الذي يقال له الدريبة[١] .

٢ - **مدرسة أبي علي بن أبي زكريا :**

وقفها أبو علي بن أبي زكريا على مختلف المذاهب الإسلامية في الموضع المعروف بأبي الطاهر العمري المؤذن ، بقرب المدرسة المجاهدية سنة ٦٣٥هـ[٢] .

٣ - **مدرسة ابن الحداد المهدوي :**

وقفها ابن الحداد المهدوي بالقرب من باب الشبيكة أسفل مكة على المالكيين سنة ٦٣٨هـ ، وتعرف بمدرسة الأدارسة ، وكان قد درَّس بها إمام المالكيين بالحرم أبو البركات القسطلاني[٣] .

٤ - **مدرسة الملك المنصور عمر بن علي بن رسول :**

وقفها الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ملك اليمن على الفقهاء الشافعية سنة ٦٤١هـ[٤] ، وتعرف هذه المدرسة أيضًا بالمظفرية .

٥ - **مدارس فخر الدين الشلاج :**

وعددها ثلاث مدارس وقفت في حدود سنة ٦٤١هـ[٥] .

٦ - **المدرسة الشرابية :**

أسس هذه المدرسة سنة ٦٤١هـ أبو الشهاب ريحان نيابة عن الأمير شرف الدين إقبال بن عبد الله الشرابي المستنصري العباسي (ت ٦٣٥هـ) الذي رغب في إقامة مشاريع خيرية بمكة المكرمة ، فعزم على إنشاء مدرسة فيها ، غير أن ذلك لم يتحقق إلا بعد وفاته ، وقد تخصصت في تدريس المذاهب الأربعة إلى

---

(١) الفاسي ، العقد الثمين ١١٨/١ ، والفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٨٣٢هـ) ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، مكة المكرمة ، مكتبة النهضة الحديثة ١٩٥٦هـ ، ٣٣٠/١ .

(٢) الفاسي ، العقد الثمين ١١٨/١ . الفاسي ، شفاء الغرام ٣٣٠/١ . وابن فهد الهاشمي ، النجم عمر بن محمد بن محمد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، د.ت ، ٥٤/٣ ، تاريخ الجزء الثاني ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .

(٣) الفاسي ، العقد الثمين ١١٨/١ . والفاسي ، شفاء الغرام ٣٣٠/١ . وابن فهد ، إتحاف الورى ٤٥/٣ .

(٤) الفاسي ، العقد الثمين ١١٧/١ . والفاسي ، شفاء الغرام ٣٢٨/١ . وابن فهد ، إتحاف الورى ٦٠/٣ .

(٥) الفاسي ، شفاء الغرام ٣٣٠/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

جانب تدريس النحو والأدب ، فكانت الدراسة فيها تسير على نهج المدرسة النظامية ، وكان طلابها من العرب والعجم .

ولقد وقف على هذه المدرسة أوقافاً كثيرة بوادي مر ووادي نخلة ، وكانت حصيلة هذه الأوقاف ترسل إليها ليتم توزيعها على المدرسين والطلبة فيها .

وهناك ما يشير إلى أنها استمرت في أداء رسالتها حتى أواخر القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي[١] .

٧ - **مدرسة دار العجلة :**

أنشئت في حدود سنة ٧٢٠هـ ، وتقع بدار العجلة القديمة على يسار الداخل إلى المسجد الحرام ، عملها الأمير أرغون النائب الناصري للخليفة[٢] .

وقد عنيت المدارس التي أنشئت في مكة المكرمة عناية تامة بالعلوم الدينية ، بحيث كان التدريس بها يتم على مذهب من المذاهب الشهيرة أو أكثر ، فمدرسة ابن الحداد اختصت بتدريس المذهب المالكي ، والمدرسة الشرابية بتدريس المذاهب الأربعة ، والمدرسة المظفرية تدرس الحديث والفقه الشافعي ، والمدرستان المجاهدية والأفضلية تدرسان الفقه الشافعي ، وقد أدى هذا التركيز على الأمور الدينية إلى عدم العناية بالعلوم الدنيوية التجريبية[٣] .

كذلك نجد أن عدداً كبيراً من المدارس التي ظهرت في مكة المكرمة في تلك الفترة ، أنشأها حكام مسلمون من خارج مكة المكرمة ، ولعل لهذا أسباباً عدة ؛ منها أن المسلمين رغم انتمائهم لدول متعددة ظلوا يشعرون بانتمائهم إلى كيان واحد ، وتجمعهم رابطة واحدة وهي رابطة الدين الإسلامي الحنيف ،

---

(١) الطبري ، علي عبد القادر (ت هـ) ، الأرج المسكي في التاريخ المكي ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، ورقة ٣١ . والحنفي ، قطب الدين محمد بن أحمد النهراوالي (ت ٩٩٠هـ) ، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، المطبعة العثمانية ، ١٣٠٣هـ ، ص ٨٢ . ومالكي ، سليمان عبد الغني ، مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية ، رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور أحمد دراج ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ١٤٣ - ١٤٤ . وابن دهيش ، عبد اللطيف بن عبد الله ، المكتبات الخاصة في مكة المكرمة ، مكة المكرمة ، مكتبة النهضة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص ١١ .

(٢) الفاسي ، شفاء الغرام ٣٢٨/١ . الفاسي ، العقد الثمين ١١٧/١ .

(٣) عبد الله ، تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٨٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهذا العامل هو الذي سهل على العلماء المسلمين أن يقصدوا مكة المكرمة طلبًا للعلم ، أما العامل الثاني الذي أدى إلى اهتمام الحكام المسلمين بمكة المكرمة فهو مكانتها المقدسة في قلوب المسلمين جميعًا[١] .

ج - المكتبات وكان من بينها :

١ - مكتبة الحرم المكي الشريف :

لا جدال في أن هذا المسجد كان وما برح قبلة المسلمين جميعًا في مشارق الأرض ومغاربها ، وكان خاصتهم وعامتهم وفي مقدمتهم الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والحجاج يتيمنون بإهدائهم إليه أفخر ما لديهم من الجواهر الثمينة والتحف البديعة تقربًا لله تعالى ، وراح الخطاطون والعلماء يكتبون المصاحف الرائعة والمؤلفات المتنوعة والأبحاث والموضوعات ليزينوا بها خزائن هذا المسجد ، ويفيدوا طلبة العلم .

وقد أثبت المؤرخون أسماء ملوك وسلاطين تولوا كتابة نسخ من القرآن الكريم بأيديهم وبعثوا بها إلى مكة تيمنًا وتبركًا ، وكذا الحال بالنسبة لإهداء المؤلفات الأخرى التي كان يرسلها مؤلفوها أو نساخها إلى مكتبة المسجد الحرام بمكة المكرمة .

وهكذا تكونت بتوالي الأعوام مكتبة الحرم التي كانت بلا ريب من أغنى المكتبات الإسلامية في العصور الماضية ، وقد بعث أحد ملوك المغرب بمصحف ضخم حمل على بغل مع أبي عبد الله محمد بن إبراهيم اليقوري (ت ٧٠٧هـ) ليوقفه بمكة[٢] ، ولا شك أن المكان الذي قصد ذلك السلطان وقف المصحف فيه هو الحرم المكي ، غير أنه بين ليلة وضحاها ذهبت تلك المكتبة فريسة النار بتاريخ ١٣ رمضان سنة ٨٨٦ للهجرة ، وسبب ذلك أن صاعقة انقضت على مئذنة المسجد فانهارت على سقفه ، وعلقت به النار فأحرقت المسجد

(١) السابق ص ٨٥ .

(٢) المقري ، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، ٥٣/٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بكامله ، والتهمت جميع ما فيه من الكنوز والمصاحف والربعات وخزائن الكتب ، وكانت تضم تلك الخزائن كتبًا نفيسة ومصاحف عظيمة[١] .

٢ - مكتبة المدرسة الشرابية :

لم يذكر التقي الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢هـ في كتابه ((شفاء الغرام)) شيئًا عن المدرسة الشرابية مع أنه ذكر حول المسجد الحرام إحدى عشرة مدرسة موقوفة ، كان بعضها معاصرًا للمدرسة الشرابية ، بينما ذكرها قطب الدين الحنفي المتوفى بعده بأكثر من قرن ونصف القرن في كتابه ((الإعلام بأعلام بيت الله الحرم)) ، وذكر أنها كانت باقية إلى عهده فقال : ((إن الأمير شرف الدين الشرابي المستنصري العباسي بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام ، ووقف فيها كتبًا كثيرة في سنة إحدى وأربعين وستمائة))[٢] ، ويظهر أن الكتب في هذه المدرسة ضاع أكثرها ولم تبق إلا المدرسة دون مكتبتها[٣] ، حيث يذكر قطب الدين الحنفي المتوفى في حدود سنة ٩٩٠هـ أن كتب هذه المدرسة ((قد ذهبت شذر مذر ، والمدرسة صارت رباطًا))[٤] .

٢ - المدينة المنورة

يذكر الذهبي ((أن العلم كان وافرًا بها زمن التابعين ؛ كالفقهاء السبعة ، وزمن صغار التابعين ، ثم زمن تابعي التابعين ، ثم الإمام مالك ، ومقرئها الإمام نافع ، وإبراهيم بن سعد ، وسليمان بن بلال ، وإسماعيل بن جعفر ، ثم تناقص العلم بها جدًا في الطبقة التي بعدهم ، ثم تلاشى))[٥] ، ولكن الحافظ السخاوي عقَّب على كلام الذهبي عن المدينة المنورة بقوله : ((قلت : سيما وقد سكنها جماعة من الروافض ، وتحكموا بها ، وغلب أمرهم عليها ، ولكن نشأ بها في القرنين الثامن والتاسع أفراد من العلماء

---

(١) قطب الدين الحنفي ، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٠٥ .

(٢) قطب الدين الحنفي ، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٨٢ .

(٣) معروف ، المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة ص ٣٧١ -٣٧٣ . وابن دهيش ، المكتبات الخاصة في مكة المكرمة ص ١١ .

(٤) قطب الدين الحنفي ، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٨٢ .

(٥) الذهبي ، الأمصار ذوات الآثار ص ١٣ -١٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في غالب المذاهب والفنون ، انتفع بهم أهل السنة ،وفيهم من صنف عددًا يسيرًا ، والسنة بحمد الله الآن معتضدة بمن شاء الله من فضلاء أهلها ؛ من قضاتها وغيرهم ، نفعني الله ببركاتهم »[١] .

وقد كان بالمدينة المنورة في القرنين السابع والثامن من دور العلم المساجد والمدارس والمكتبات التي كانت تستقبل الزائرين والمجاورين وطلاب العلم ، وكان من بين هذه الدور التعليمية ما يلي :

أ - المساجد :

وقد كان أعظم مساجدها وأشرفها وأكثرها طلابًا وعمارًا :

المسجد النبوي الشريف :

كانت حلقات الدرس تعقد في هذا المسجد على زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقبل عليها الرجال والنساء ، وكان هذا المسجد جامعة يلتقي فيها الناس من مختلف البلدان ، وقد كانت المنزلة الكبيرة التي احتلتها المدينة المنورة في صدر الإسلام من العوامل المساعدة التي جعلت العديد من العلماء يقيمون فيها ويعقدون مجالس العلم في مسجدها ، ويهرع إليهم الكثير من طلاب العلم .

واستمر إقبال العلماء والطلاب على المدينة المنورة بغرض الزيارة أو المجاورة وطلب العلم . وكتب التراجم تذكر كثيرًا من هذه الرحلات في ثنايا تراجم العلماء الأعلام .

وكان هؤلاء العلماء « يلقون الدروس المختلفة من التفسير والقراءات والحديث والفقه والأصول والصرف والنحو والبلاغة ، إلا أن هذه الدروس كانت بغير نظام مدون أو إدارة مسئولة أو مراقبة أو اختبارات منظمة »[٢] .

وقد كان من بين من اهتم بشؤون المسجد النبوي في العهد المملوكي شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ، حيث كان له مآثر حسنة في الحرمين ، منها ما قرره سنة ٧٧٤هـ من الدروس في المذاهب الأربعة ، وأنشأ

---

(١) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ص ١٧١ .

(٢) الشامخ ، محمد عبد الرحمن ، التعليم في مكة والمدينة ، الرياض ، دار العلوم ، ١٩٨٢م ، ص ٦٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

درسًا في الحديث ، وعين قراء ومؤذنين وغيرهم ، ومكتبًا للأيتام ، وذلك بإشارة كبير دولته الأمير يلبغا[١] .

وكان ممن ولي التدريس والإقراء في المسجد النبوي جماعة ، منهم :

إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم بن سعيد ، برهان الدين أبو إسحاق الأربلي القاهري الشافعي مقرئ الحرمين ، ويعرف بابن الجابي ، ولد سنة ٦٦٢هـ بالقاهرة ، وأقام بالمدينة النبوية ، وانتفع به جماعة من الأعيان في إقراء القرآن ، وهو شيخ المقرئين بالحرمين ، توفي بالمدينة سنة ٧٤٥هـ[٢] .

ومنهم إبراهيم بن رجب بن حماد الرواشي الكلابي المتوفى سنة ٧٥٥هـ ، الذي لازم التدريس في المسجد النبوي ، إضافة إلى التدريس في المدرسة الشهابية[٣] .

ومنهم إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم اللخمي الأسيوطي ، المتوفى سنة ٧٩٠هـ ، الذي مهر في الفقه والعربية والأصلين ، ودرس وأفتى في الحرمين[٤] .

ومنهم أيضًا إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري ، المتوفى سنة ٧٩٩هـ ، فقد حدث بالمسجد النبوي ، وسمع منه الفضلاء ، وتفقه وبرع في مذهبه المالكي وجمع وصنف[٥] .

ومنهم كذلك أحمد بن محمد بن محمد الجلال أبو الطاهر الخجندي ، المتوفى سنة ٨٠٢هـ ، فقد أقام بالمدينة أكثر من أربعين سنة يدرس ويفتي ، وهو رئيس المدرسين وإمام الحنفية بها[٦] .

ب - المدارس :

وجدت بالمدينة المنورة بعض المدارس في القرنين السابع والثامن الهجريين ، تلقى فيها الدروس الشرعية واللغوية وغيرهما ، إضافة إلى ما كان يعقد في المسجد النبوي الشريف من حلقات العلم ، وكان من بين هذه المدارس ما يلي :

١ - المدرسة الشيرازية :

---

(١) السخاوي ، التحفة اللطيفة ٢١٩/٢ .

(٢) السخاوي ، التحفة اللطيفة ١٤٦/١ -١٤٨ .

(٣) السابق ١١٣/١ -١١٥ .

(٤) السابق ١٤١/١ -١٤٢ .

(٥) السابق ١٣١/١ -١٣٢ .

(٦) السابق ٢٥٣/١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لم يعرف منشئها ولا تاريخ عمارتها ، ولكنها قائمة بين عامي ٦٨٠هـ و ٧٣٠هـ ، نتبين هذا من ترجمة السخاوي لإبراهيم الرومي ؛ حيث ينقل عن ابن فرحون قوله : « إبراهيم الرومي الأصل ، نزيل المدينة ، ويعرف بالعريان ، أصله من الروم ، وقدم المدينة فأقام بها أزيد من خمسين سنة بالمدرسة الشيرازية ، على قدم التجرد في وسطه بلاس ، وعلى رأسه قبع صوف ، ودام كذلك حتى اشتهر بين الناس وأهل البلاد »[١] .

وله في المدينة آثار حسنة ، أكثرها في مدرسة سكنه ، ولولاه لسقطت طباقها ، فإنه أقام أساطينها حتى حملت السقف والرواشين ، بل كانت محترمة في أيامه ، فلا يدخلها ولا يسكنها إلا الصلحاء والأخيار ، واشترى نخلاً ووقفه ، واجتهد في عمارته بنفسه وماله[٢] .

وإذا علمنا أن إبراهيم الرومي المذكور سابقًا توفي سنة ٧٣٠هـ[٣] ، وأنه بقي ساكنًا في المدرسة الشيرازية أكثر من خمسين سنة عرفنا أنه ابتدأ إقامته بها حوالي سنة ٦٨٠هـ ، ومنه يتبين وجودها خلال القرنين السابع والثامن الهجريين .

ولم يتبين لي فيما توفر لدي من مصادر أسماء من درس بهذه المدرسة .

٢ - **المدرسة الجوبانية :**

بناها في المدينة المنورة سنة ٧٢٤هـ جوبان بن تدوان أبو سعيد بن خربندا نائب المملكة القاءانية[٤] ، وليس بالمدينة مدرسة ولا رباط ولا دار أحسن بناء وأتقن[٥] .

٣ - **المدرسة الشهابية :**

وهي من المدارس الكبيرة في القرن الثامن الهجري بالمدينة المنورة ، درَّس فيها مجموعة من العلماء الكبار ، جمعت بين تدريس الفقه على مذهب

(١) السخاوي ، التحفة اللطيفة ١٥٤/١ .
(٢) السابق ١٥٤/١ .
(٣) السابق ١٥٤/١ .
(٤) السابق ٤٣١/١ .
(٥) السابق ٤٣٢/١ -٤٣٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الشافعية والحنابلة[١] ، وقد نالت مكتبتها اهتمام المقيمين بالمدينة والقادمين إليها ، فوقفوا عليها كتبًا كثيرة ، وكان من بينهم أبو إسحاق ، الذي كان يدرس فيها عام ٧٢٦هـ[٢] ، وأبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي المتوفى سنة ٧٥٤هـ[٣] ، وإبراهيم بن رجب بن حماد البرهان أبو إسحاق الرواشي الكلابي المتوفى سنة ٧٥٥هـ[٤] ، وصفي الدين بن محمد الكازروني المتوفى سنة ٧٥٥هـ[٥] ، ومحيي الدين الحوراني ، وهو من أهل القرن الثامن الهجري[٦] .

ج - المكتبات :

وكان من أشهرها :

١ - مكتبة المسجد النبوي :

تكونت في هذا المسجد مكتبة كبيرة كانت حصيلة ما وقفه الملوك والحكام والأثرياء في مراحل تاريخية مختلفة ، ففي عام ٥٨٠هـ كانت فيه ((خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة))[٧] .

وكانت لإبراهيم بن رجب بن حماد الرواشي الكلابي (ت ٧٥٥هـ) كتب نفيسة ((وقفها بالمسجد النبوي))[٨] .

ووقف سلطان بلاد فارس شاه شجاع بن محمد بن المظفر اليزدي (ت ٧٨٧هـ) خزانة كتب بالمسجد النبوي عند زيارته للمدينة ، قال عنها السخاوي : ((له في الحرم المدني آثار ، أبرز بها خوافي المحامد ، وآثار منها : الخزانة الشريفة

(١) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ١١٥/٥ . وابن فرحون اليعمري ، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٧٦٩هـ) ، كتاب نصيحة المشاور وتسلية المجاور (مخطوطة ، تم نسخها في سنة ١٠٩٣هـ ، محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٣٠٤٩) ورقة ١٢٠ .

(٢) ابن فرحون ، نصيحة المشاور ، ورقة ٩٣ .

(٣) السابق ورقة ٩٣ .

(٤) السخاوي ، التحفة اللطيفة ١١٥/١ .

(٥) ابن فرحون ، نصيحة المشاور ، ورقة ١٠٠ .

(٦) السابق ورقة ٥٤ .

(٧) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ص ١٥٣ .

(٨) السخاوي ، التحفة اللطيفة ١١٤/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المشتملة على محاسن الكتب ومفاخرها ، فما من طالب مقتبس إلا وهو يستفيد من جواهر زواخرها »[١] .

٢ - **مكتبة المدرسة الشهابية :**

وهي من المدارس الكبيرة في القرن الثامن الهجري ، درَّس فيها مجموعة من العلماء الكبار ، وحظيت مكتبتها باهتمام ملحوظ من قبل المقيمين بالمدينة والقادمين إليها ، فوقفوا عليها كتبًا كثيرة[٢] ، وكان من بينهم : أبو إسحاق ، الذي كان يدرس فيها عام ٧٢٦هـ[٣] ، وأبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي ، المتوفى سنة ٧٥٤هـ[٤] ، وإبراهيم بن رجب بن حماد البرهان أبو إسحاق الرواشي الكلابي ، المتوفى سنة ٧٥٥ « وكانت له كتب نفيسة وأصول معتمدة جليلة في فنون العلم ... وقف بعضها بالمدرسة الشهابية »[٥] ، وصفي الدين بن محمد الكازروني ، المتوفى سنة ٧٥٥هـ ، الذي « كانت له كتب جليلة في الفقه والأصول والحديث واللغة وغير ذلك ، أوقف أكثرها بمكة المشرفة ، وأوقف بعضها بالمدرسة الشهابية »[٦] ، ومحيي الدين الحوراني ، وهو من أهل القرن الثامن الهجري « وكان له خزانة عظيمة مشتملة على كتب حفيلة ؛ مثل الرافعي وابن الرفعة والروضة وغير ذلك من الكتب المنتقاة ، أوقفها كلها ، وجعل مقرها بالمدرسة في خزانتها ، وكانت أمام بيته الذي هو في الزاوية الملاصقة لإيوان الشافعية ، وكان يظن أن المدرسة تكون أبدًا على حالها في أيامه ، فشرط أن لا تغير الخزانة من موضعها »[٧] .

---

(١) الفاسي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٧٣/٢ . والسخاوي ، التحفة اللطيفة ٢٠٩/٢ -٢١٠ .

(٢) الساعاتي ، الوقف وبنية المكتبة العربية ص ٨٦ .

(٣) ابن فرحون اليعمري ، نصيحة المشاور وتسلية المجاور ، ورقة ١٢٠ .

(٤) السابق ورقة ٩٣ .

(٥) السخاوي ، التحفة اللطيفة ١١٥/١ .

(٦) ابن فرحون اليعمري ، نصيحة المشاور ، ورقة ١٠٠ .

(٧) السابق ، ورقة ٥٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

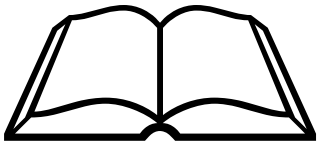

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المصادر والمراجع

١ - الأرج المسكي في التاريخ المكي في أخبار الحرم والكعبة وتراجم الخلفاء والملوك ، لعلي بن عبد القادر الطبري الحسيني المكي (ت ١٠٧٠هـ) ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي .

٢ - الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، قطب الدين محمد بن أحمد النهراوالي الحنفي (ت ٩٩٠هـ) ، المطبعة العثمانية ، ١٣٠٣هـ .

٣ - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، للسخاوي ، دراسة وتحقيق : محمد عثمان الخشت ، الرياض ، مكتبة الساعي ، ١٩٨٩م .

٤ - تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، عبد الرحمن صالح عبد الله ، جدة ، دار الشروق ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م .

٥ - التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، أسعد طرابزوني الحسيني ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٦ - التعليم في مكة والمدينة ، محمد عبد الرحمن الشامخ ، الرياض ، دار العلوم ، ١٩٨٢م .

٧ - تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، لعبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني ، المعروف بابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ) ، تحقيق : عبد القدوس بن عبد الرب ، القاهرة ، مطبعة النهضة المصرية ، ١٩٥٧م .

٨ - الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، جميل حرب محمود حسين ، جدة ، تهامة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٩ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تقي الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٨٣٢هـ) ، مكة المكرمة ، مكتبة النهضة الحديثة ١٩٥٦هـ .

١٠ - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، للفاسي ، تحقيق : فؤاد سيد ، محمود محمد الطناحي ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية من [١٣٨١ -١٣٨٨هـ ، ١٩٦١ -١٩٦٩م] .

١١ - كتاب نصيحة المشاور وتسلية المجاور ، لأبي محمد عبد الله بن محمد ابن فرحون اليعمري (ت ٧٦٩هـ) ، (مخطوطة ، تم نسخها في سنة ١٠٩٣هـ ، محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٣٠٤٩) .

١٢ - مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية ، سليمان عبد الغني مالكي ، رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور أحمد دراج ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ..

١٣ - معاهد التربية الإسلامية ، سعيد إسماعيل علي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٦م ، ص ٢٤٠ .

١٤ - المكتبات الخاصة في مكة المكرمة ، عبد اللطيف بن عبد الله ابن دهيش ، مكة المكرمة ، مكتبة النهضة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة